خاتمة

وفي ختام هذه الرسالة أتوجه بأربع رسائل:
الأولى: لجميع المسلمين فأقول لهم إن ما تقدمه (وثيقة الترشيد) هو الإسلام الذي تريده أمريكا والغرب ويرضون عنه؛ إسلام بلا جهاد ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر ولا إعداد ولا صدع بالحق في وجه الظالمين ولا نصرة للمجاهدين.
والأمة المسلمة التي تصورها تلك الوثيقة هي الأمة التي تريدها أمريكا والغرب ويرضون عنها؛ أمة عاجزة مستكينة خائفة هاربة منزوية منسحبة منشغلة بتحصيل الرزق ورعاية العيال.
ولذا فإني أعد هذه الوثيقة إهانة للأمة المسلمة المجاهدة الصابرة المحتسبة، التي قدمت ولا زالت تقدم آلاف الشهداء وأضعافهم من الجرحى والأسرى والأيتام والأرامل، دون تراجع ولا توان ولا نكوص، وتنزل بأعدائها -بفضل الله- أنكى الضربات.
ولأني اعتبرت هذه الوثيقة إهانة للأمة المسلمة، فقد اخترت للرد عليها اسم (التبرئة)، لأعبر عن براءة الأمة من هذه الإهانة التي وجهت لها، وقد يسأل سائل؛ وما العيب أن تكون الأمة في مرحلة من المراحل ضعيفة مغلوبة مقهورة؟
فجوابي أن هذا ليس عيباً، ولكن العيب أن تكون الأمة قادرة على التصدي للعدوان بما وفره الله لها من إيمان وعزيمة ورجال وطاقات وأموال، ثم تركن إلى الضعف أو تتهم به.
كما قال المتنبي:

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين عن التمام

ومن قبله قال الأفوه الأودي:

ولم أر في عيوب الناس عيباً كعجز القادرين عن الكمال

هذا هو العيب الذي يجب أن نبرأ منه، وتلك هي الإهانة التي يجب أن نردها.
إن الأمة التي تنزل النكايات بالتحالف الصليبي في العراق وأفغانستان والجزائر والصومال ليست أمة ضعيفة، والأمة التي صمدت لروسيا المتوحشة منذ أربع قرون ونصف في القوقاز ليست أمة عاجزة، والأمة التي طردت اليهود من غزة ليست أمة مشلولة، والأمة التي أنجبت الإمام شامل وعمر المختار وحسن البنا وعز الدين القسام وسيد قطب وخالد الإسلامبولي وعصام القمري وعبد الله عزام وأبا عبيدة البنشيري وأبا حفص القائد ومحمد عطا وخطاب وشامل بساييف وأصلان مساخادوف وزليم خان يندربييف وأحمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي وأبا الوليد الغامدي وأبا عمر السيف وعبد الله الرشود وأبا مصعب الزرقاوي وملا داد الله ليست أمة عقيمة.
والأمة التي يصمد أبناؤها المهاجرون والمجاهدون لأعتى حملة صليبية في تاريخ الإسلام ليست أمة مستكينة.
الرسالة الثانية: لضباط المباحث الذين أخرجوا هذه الوثيقة، أقول لهم تمثيليتكم سيئة الإخراج، ولو أخرجتم ألف وثيقة، فإن الحق أعلى وأجلى وأظهر من أن تحجبوه. ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾.

هذا حديث النفس حين تشف عن بشريتي وتمور بعد ثوان
وتقول لي إن الحياة لغاية أسمى من التصفيق للطغيان
أنفاسك الحرى وإن هي أخمدت ستظل تحجب أفقهم بدخان
وقروح جسمك تحت كي سياطهم قسمات صبح يتقيه الجاني
دمع السجين هناك في أغلاله ودم الشهيد هنا سيلتقيان
حتى إذا ما أفعمت بهما الربى لم يبق غير تمرد الفيضان[1]

[1] الأبيات لهاشم الرفاعي رحمه الله، من قصيدته (رسالة في ليلة التنفيذ).

والرسالة الثالثة: لإخواننا الصامدين في السجون، أقول لهم اصبروا وتحملوا واعفوا واصفحوا عن إخوانكم الذين شاركوا أو يشاركون في أمثال هذه الدعايات، فلعل الله أن يجمع بين المسلمين على ما يحب ويرضى.
والرسالة الرابعة: لإخواننا الذين كتبوا ووافقوا وأيدوا هذه الدعايات، فأقول لهم عفا الله عنكم، وهداكم لصراطه المستقيم، أبعد كل هذا الصمود والصبر تقعون في هذا الشرك؟
إن المجرمين لن يرضوا منكم بما كتبتم، وأحسبهم سيواصلون الضغط عليكم حتى تصلوا لما وصل له أسلافكم في التراجعات، الذين أعلنوا أسفهم وندمهم على ما ارتكبوا، واعترفو بحسني مبارك رئيساً، وبالسادات شهيداً.
وأقول لهم إننا نمد إليكم أيدينا ونفتح لكم قلوبنا، فلا تكونوا عوناً لأكابر المجرمين -الذين بدأت هزيمتهم- على يد إخوانكم المجاهدين والمرابطين.
وأقول لهم لماذا سمحتم لأنفسكم أن تكتبوا وتوافقوا وتوقعوا على هذا الفقه المغلوط وعلى هذا السب والشتم لإخوانكم؟
أما عما لحق شخصي من سباب وافتراء، فأقول لكم: إن كان سبي وشتمي وتجريحي سيخرجكم من السجن، فدونكم عرضي فارتعوا فيه، ولن أسامحكم فقط بل يسعدني أن أكون سبباً في خلاصكم. أما إن اتخذتم سبي وشتمي وسيلة لإعانة الطواغيت على المجاهدين، ولبث القعود والتخذيل لصالح أعداء الأمة اليهود والصليبيين، فهذا ما لا أملك فيه عفواً، لأن الأمر قد خرج من شخصي إلى إعانة أعداء الإسلام.
يقول محمد إقبال رحمه الله:

پھول کی پتّی سے کٹ سکتا ہے ہیرے کا جگر
مردِ ناداں پر کلامِ نرم و نازک بے اثر

وترجمته:

وأوراق ورد قطعن برفق من اللؤلؤ الكبد المنفطر
ولين الكلام بقلب الجهول مضى دون ذكر ودون أثر

إذا نسى إخواننا أو تناسوا بإرادتهم أو رغماً عنهم الأخوة والأيام التي أمضيناها سوياً بشدتها ورخائها ويسرها وعسرها، فإننا لن ننساها، ولن ننسى سابقتهم. نسأل الله أن يجمع بيننا وبينهم على الخير.

وَإِن الَّذي بَيني وَبَين بَني أَبي وَبَينَ بَني عَمّي لَمُختَلِفٌ جِدّا
فَإِن يَأكُلوا لَحمي وَفَرتُ لحومَهُم وَإِن يَهدِموا مَجدي بنيتُ لَهُم مَجدا
وَإِن بادَؤوني بِالعَداوَةِ لَم أَكُن أَبادِؤُهُم إِلّا بِما يَنعَتُ الرُشدا
وَإِن قَطَعوا مِنّي الأَواصِرَ ضَلَّةً وَصَلتُ لَهُم مُنّي المَحَبَّةَ وَالوُدّا

وما بدر مني في هذه الرسالة من لفظ خشن أو شديد، فما قصدت به تجريحاً شخصياً، وإنما قصدت نصرة الحق، فلينصحني إخواني إن رأوا فيه خروجاً عن الإنصاف والعدل.

وما تحملت مشقة كتابة هذه الصفحات إلا لنصرة الحق الذي أعتقده، وأنا متنازل عن أي حق شخصي لي تجاه إخواني، وأصبر وأعفو عن كل إساءة وجهت لي. فإن صدرت مني لهم إساءة أو تعد على أشخاصهم فليعفوا وليصفحوا، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.